ممالك السودان الشرقي:

النُّوبة، فتح بلاد .بدأ فتح بلاد النوبة عندما تولّى عبدالله بن سعد بن أبي السرح ولاية مصر بعد عزل ابن العاص عنها سنة 25هـ الموافق645 م. وما أن علمت النوبة بهذا التغيير في مصر، حتى أخذت في إرسال السرايا إلى مناطق جنوبي مصر للنهب والتخريب، وناوش النوبيون الحامية الإسلامية هناك، وروَّعوا السكان، فلم يتردد ابن أبي السرح في إعداد جيش بقيادته قوامه خمسة آلاف رجل لتأديبهم، على الرغم من أن المسافة بين الفسطاط ودنقلا ـ عاصمة النوبة ـ زهاء خمسة وخمسين يومًا. وعندما دخل جيش المسلمين بلاد النوبة أخذوا في مناوشته، ولكنه دَحَرهم إلى أن احتموا بأسوار عاصمتهم، فحاصرهم، ثم استخدموا مهاراتهم العالية في رمي النبل والسهام، حتى فقئت مائة وخسمون عيناً من عيون جنود المسلمين، وبعضهم من القادة وجُرح معظمهم. ولذا عرُف النوبيون **برماة الحدق)** أي العيون). واستخدم المسلمون المنجنيق لفتح ثغرات في حصونهم.

لم يكن أمام النوبيين في مواجهة هذا الحصار والرمي بالمنجنيق إلا أن يقبلوا الصُّلح، ويُوقعوا على معاهدة عرفت بمعاهدة **البقط** سنة 31 هـ الموافق 651 م .والمعنى الاصطلاحي لكلمة البقط هو ,ما يُقْبَض من سبي النوبة سنويًا ويُحمَل إلى مصر ضريبة عنهم.٠

وكان من شروط هذا الصلح ـ إضافة إلى البقط ـ ضمان حرية العبادة والحركة وعدم الاعتداء، والمحافظة على المسجد الذي بناه المسلمون بدنقلا. فساعد هذا كله على نمو حركة الإسلام في شمالي السودان وتوسيع دائرة الهجرات العربية الإسلامية إلى بلاد النوبة وبقية السودان، والمصاهرة بين العرب والسودانيين النوبيين وتشكيل السمات البارزة لحضارة السودان العربية الإسلامية.

مملكة البجة .كان العرب ينطقونها بضم الباء ويقولون أيضًا البجاة، ولكن الاسم السائد أصبح الآن بكسر الباء، وهم أمة من الناس عاشوا منذ أكثر من خمسة آلاف سنة في المنطقة الواقعة الآن بين بئر شلاتين على البحر الأحمر، وجزيرة دِهْلك وباضع، أي مُصَوَّع، في إرتريا. وهم أمة بادية. وعرف البجة بالبليميين في عصور اليونان والرومان. وكانوا يركبون الجمال، يسافرون عليها، ويقاتلون من فوق ظهورها. وكانوا يحاربون المصريين أحيانًا، كما كانوا يحاربون معهم أحيانًا أخرى .وكذلك فعلوا مع من جاء بعدهم ممن حكم مصر وخاصة البطالمة والرومان، وأخيرًا العرب .فلما جاء المسلمون كان أول من التقى بهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة 31هـ،651 م، فرآهم في صعيد مصر بعد حربه مع النوبة، وسأل عنهم، فقيل له: إنهم لايقيمون في مقر واحد، وأنهم أهل بادية. فلم يهتم

كثيرًا بأمرهم. وعلم البجة أن المسلمين قد جاءوا بدين جديد هو دين الإسلام، فقبلوا هذا الدين وهم لا يعرفون العربية. واعتنقته جماعات منهم، دون أن يعرفوا كيف يضبطون شرائعه. ولم يتفق معهم ابن أبي السرح على شيء يحدد العلاقة بينهم وبين المسلمين، وكانت عيذاب ميناءهم الذي كان يبحر منه المسلمون إلى جدة، أو يقدمون من جدة إليها ثم إلى صعيد مصر وأرض النوبة، فظلت هذه المناطق تستقبل القبائل العربية. وقد استقر كثير من العرب والمسلمين فيها، وحدث امتزاج بين المسلمين والأهالي وازدادت الروابط وثوقًا .

وعندما حل القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي كان السودان يعج بالقبائل العربية. وكان من بين هذه القبائل جماعة من الأمويين يُعرفون بالفونج، سلكوا طريقًا مختلفًا عن غيرهم ووصلوا إلى منطقة سنار جنوبي الخرطوم.

وكانت مملكة علوة النوبية النصرانية تحكم أكثر مناطق السودان. ومع أنها مملكة شاسعة مترامية الأطراف بعيدة عن الأراضي المصرية، وعن شرقي السودان، إلا أن العرب كانوا يؤمونها، ويعتقدون أن النيل ينبع من هناك، وأن في جزيرة علوة الفيلة والخرتيت.

وهكذا ازداد تدفق القبائل العربية في السودان، وكانت أولى محاولات بعض القبائل العربية كربيعة وبني جعد وبني عكرمة هي الاستيلاء على دنقلا عاصمة مملكة المقرة .وفي سنة 767هـ، 1365م تحالف كل من بني الكنز وبني عكرمة وبني جعد للقضاء على ملك المقرة. وبالرغم من أن السلطان المملوكي أرسل جنوده لحماية ملك المقرة إلا أن الملك النوبي لم يشعر بالاطمئنان على نفسه وهو في دنقلا، ولذلك رحل إلى قلعة الدو.

بعد رحيل ملك النوبة وابن أخيه الذي كان معارضًا له إلى قلعة الدوّ لم يذكر المؤرخون شيئًا عما حدث في دنقلا عاصمة النوبة على مدى قرون طويلة. وكان قد حاق بها الخراب من جراء تلك الاشتباكات، وأخلاها أهلها وبقي بنو جعد حولها.

ممكلة علوة .أما مملكة علوة فلم تهاجمها القبائل العربية طوال القرون من عام 31-910هـ، 651-1504م ولكنهم كانوا قد أقاموا في أراضيها، واختلطوا بأهلها. وكان السكان الأصليون طوال فترة التغلغل العربي قد أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي. ولكن ملوكها تمسكوا بنصرانيتهم.

اجتمع العرب تحت مظلة شيخ قبيلة القواسمة الشيخ عبد الله جماع، وزعيم الفونج عمارة دُنقس، وكونوا جيشًا موحدًا انطلق نحو سوبا عاصمة مملكة علوة، ودخلوا في أَرْبجي، في طريقهم إلى سوبا، في معركة فاصلة مع جيش النوبة انتهت بالقضاء على ذلك الجيش، وإنهاء مملكة النوبة، وخراب العاصمة. وبعد ذلك تولى عمارة دُنقس الملك، وأصبح عبد الله جماع وزيره. وكان هناك اتفاق على أن يكون الملك في عمارة وأبنائه، وأن تصبح الوزارة في يد الشيخ عبد الله جماع وذريته. وأقام عمارة في عاصمته التي خطها وهي سنار، وظل عبد الله جماع في قصبته التي هي في بلدة قرشي بالقرب من الخرطوم. وفي هذه الفترة خرجت السلطنة الزرقاء إلى الوجود في الأراضي السودانية كما عرفت أيضًا بسلطنة الفونج ومملكة الفونج وذلك في سنة 910هـ، 1504م.

مملكة الفونج1236-910) هـ، 1504-1820م). هي أول مملكة إسلامية ظهرت في السودان الشرقي، وقد دانت لها أكثر القبائل العربية المنتشرة بين سنار إلى منطقة دنقلا. ودانت لها قبائل البجة بشرقي السودان من مملكة بني عامر الممتدة حتى مصوع جنوبًا إلى البشاريين شمالاً حتى الحدود الشمالية مع مصر. وكانت هذه المملكة المسلمة اتحادًا لممالك القبائل المختلفة الذين كانوا يدينون بالطاعة لسلطان الفونج.

وفي العصور التي كان فيها السلطان الفونجي قويًا استطاع أن يوسع رقعة بلاده لتشمل كردفان أيضًا، كما أنها في أوقات ضعفها خسرت مملكة الشايقية الذين خرجوا عن طاعتها. ودخلت مملكة الفونج في حربين مع الحبشة؛ الأولى في عام 1028 - 1029هـ، 16191618 - م، والثانية في سنة 1157هـ، 1744م، وذلك بسبب محاولات الحبشة الاعتداء على الأراضي الفونجية. وتمكن ملوك السلطنة الزرقاء من هزيمة الأحباش في تلك الحروب.

اهتمت سلطنة الفونج بعلاقاتها بالخارج، فلما أراد السلطان العثماني سليم الفاتح أن يرسل جيشًا لفتح السودان بعد فتح مصر 923هـ، 1517م، أرسل إليه الملك عمارة دُنقس رسالة أنبأه فيها أن بلاده لا يسكنها إلا أعراب بادية، وأنهم جميعًا مسلمون، وأنهم لا يملكون من حطام الدنيا شيئًا إلا القليل. وأرسل إليه ما كتبه الإمام السمرقندي عن أنساب القبائل العربية في السودان. فعدل السلطان العثماني عن غزو للسودان.

وكان كل من سلاطين آل عثمان وسلاطين الفونج ووزرائهم يهتمون بتأمين طريق الحجاج الأفارقة إلى الديار المقدسة. وجعل الوزراء الطريق مأمونًا داخل السودان للوصول إلى سواكن. ولما

كانت سواكن تفتقر إلى المياه التي تكفي الحجاج فقد أمر الوزير العَبْدلاَّبي بحفر ترعة كبيرة تُعرف في السودان **بالفولة** وذلك لتتجمع فيها مياه الأمطار ويستعملها الناس فيما بعد في حاجاتهم اليومية. واشترى وزراء الفونج الأراضي حول الحرمين الشريفين، وأقاموا فيها أروقة لحجاج سلطنة الفونج، كما أنشأوا الرواق السناري في مصر في الأزهر الشريف، ليلجأ إليه الطلاب السودانيون الذين يتلقون العلم في الأزهر. وكان كل الحجيج الإفريقي يستظل بظل رواق الفونج في أرض الحرمين الشريفين.

وكان سلاطين الفونج يرحبون بعلماء المسلمين حين يزورون سنار وذلك للإفادة من علمهم، وإرشاد الأهالي إلى الدين القيم.

ظلت مملكة الفونج بين مد وجزر حتى سنة 1236هـ ، 1820م حين قرر محمد علي باشا والي مصر فتح السودان.